المذاهب الفلسفية (1) – المحاضرة 5–

فلسفة التربية

في فلسفة التربية يتأرجح الحوار النقدي حول قضايا التربية ومشكلاتها وهمومها وغاياتها وأبعادها. وفي دائرة هذه الفلسفة تتم تغطية الحقل الخاص بالتساؤل الكبير حول هوية الانسان في صيغة : من نحن؟ وماذا يجب أن نكون؟ وما هي أدوات هذه الكينونة؟..ولقد أدرك فلاسفة التربية على مر الزمان أن الفلسفة التربوية الحقة ينبغي أن تحطم أصنام الحاضر والماضي وتقتحم المستقبل.

وعليه يمكن تعريف فلسفة التربية بأنها **نتاج متفاعل لمختلف نظريات الفلاسفة والمربون في حقل العملية التربوية.** وهي تشمل أيضا على أنساق التأملات الفلسفية حول التربية والحقيقة التربوية بتجلياتها ومختلف ممارساتها. فالفلسفة التربوية هي **تطبيق للمنهج الفلسفي على مختلف تجليات وقضايا التربية؛ من تحليل ومعاينة للقضايا التربوية ونقدها.**

إن المبرر الأول لوجود فلسفة تربوية هو الحاجة إلى التفكير النقدي في ميدان التربية، شأنه في ذلك شأن كل الميادين الأخرى. وباختصار، فإن الفلسفة التربوية تسعى إلى ترشيد العملية التربويةبما ينسجم مع غايات كلية شاملة تتناول الانسان في علاقته بالكون والطبيعة والوجود. وعليه يجب علينا أن نتبنى في كل تربية فلسفة تربوية تقوم بأداء المهام التالية:

- تحديد أهداف العملية التربوية وغاياتها.
- تحديد طبيعة الانسان بما تنطوي عليه من ماهيات وخصائص.
- تقديم تصور فلسفي لعمليات تشكل المعرفة ومناهج بنائها.
- تعيين مصادر المعرفة وأولوياتها وطبيعتها.
- تحديد الموقف من مسألة الوجود وقضاياها.
- تعمل على بناء منظومات القيم ومعانيها التي تتمثل في الخق والخير والجمال.

- تقوم بترشيد العملية التربوية وتوجيهها ونقدها وتحديد مساراتها بما يضمن مصلحة المجتمع والانسان في مجتمع محدد.

وسنعمل على استعراض اتجاهين تربويين أساسيين في فلسفة التربية هما: الاتجاه المثالي، والاتجاه المادي في التربية. (علي أسعد وطفة، 2011، ص282)

تقاطعات الفلسفة والتربية

هناك قواسم مشتركة وحيوية بين الفلسفة والتربية تجمعها في أربع محاور أساسية: المسألة الوجودية والمسألة المعرفية والمسألة القيمية ومسألة الطبيعة الانسانية.

المسألة الوجودية (الانطولوجيا):(علي أسعد وطفة، 2011، ص283، 285)

لتوضيح الصورة العلائقية نستعرض المسألة الأساسية للفلسفة بمحوريها الوجودي (الأنطولوجي) من جهة، والمعرفي (الابستمولوجي) من جهة أخرى.

فالفلسفة بقطبيها الوجودي والمعرفي تشكل منطلق كل فلسفة وتربية، والفيلسوف هو من يحدد موقفه من هاتين القضيتين. وتلك هي حال المربي الذي يجب عليه من أجل أن يكون مربيا أن يحدد موقفه من هذه القضية.

وبالرجوع إلى التراث الفلسفي القديم نجد أن قضية الوجود هي القضية الأولى للفلسفة والفلاسفة، ولا سيما في المرحلة الاغريقية القديمة، وقد أدى الاهتمام الفلسفي إلى ولادة نظريات وجودية تسجل حضورها في تاريخ الفلسفة عبر نظريات أبدعها مفكرون وفلاسفة عمالقة، مثل أفلاطون، وأرسطو، وهيغل وكانط وديكارت.

حيث تبحث النظرية الوجودية عن أصل الوجود، وتبين كيفية انبثاق الأشياء والظواهر وتشكل الكون والخلق. وفي دائرة هذا الاهتمام تطرح أنساقا من التساؤلات المنهجية أهمها: هل تولد الأشياء بمحض المصادفة ومن تلقاء ذاتها؟ وهل هناك من قانونية ثابتة تحكم الأحداث الكونية في نشوئها وارتقائها؟. فسؤال الوجود يشكل قضية القضايا في الفلسفة والتربية. والسؤال الأكبر الذي تطرحه الفلسفة، وعلى أساسه تتحدد هوية الانسان الفلسفية، يتمثل في الأتي: أيهما أسبق في الوجود المادة أم الوعي؟ العقل أم المادة؟ . ومن ثم فإن طبيعة الإجابة تحدد

هوية الفلسفة والفيلسوف. فالاجابة بأن المادة أسبق في الوجود من العقل والروح، فإن الفلسفة تكون مادية، وعندما تعطي الأولوية للعقل والروح في الوجود تكون الفلسفة مثالية. حيث أن المثاليين يقولون بأسبقة الوعي عن المادة، بينما يرى الماديين ويعتقدون بأسبقية المادة عن الوعي. ونفس الشيء يالنسبة للمربي، فتحديد موقفه من هذه القضية هو ما يوجه رؤيته التربوية، ويمارس من خلاله الفعل التربوي.

إن الغاية التربوية الكبرى للفعل التربوي عند المربي الذي يرى أن الروح هي جوهر الإنسان؛ أن يعنى بالروح أولا، ثم التأكيد على جوهرية هذه الروح في عمله التربوي ثانيا. أما إذا كان يرى أن جوهر الانسان مادي فعليه أن يركز على الجوانب المادية، والبيولوجية في حياة المتعلم.

المسألة المعرفية، أو نظرية المعرفة: (علي أسعد وطفة، 2011، ص285، 291)

على أساس المسألة الوجودية يتحدد الموقف من المسألة المعرفية الابيستيمولوجية، وأهم الأسئلة التي تطرحها هذه القضية تتعلق بطبيعة العلاقة بين الذات والموضوع؛ بين الانسان بوصفه ذاتا عارفة وبين العالم الخارجي بوصفه موضوعا قابلا للمعرفة من حيث؛ كيف تتم عملية المعرفة؟ هل المعرفة كامنة في الانسان، سابقة على التجربة؟ أم أن التجربة مصدر المعرفة؟ هل توجد المعرفة بصورة أولية قبلية في عقل الانسان؟ هل هناك معرفة فطرية؟ وما دور الحواس في المعرفة؟ وما أدوات الانسان في المعرفة؟.. هذه الأسئلة وتفاعلاتها تشكل نظرية المعرفة في الفلسفة والتربية، وتشكل منطلق كل فعل تربوي وجوهر العملية التربوية.

ينبغي على المربي أن يتخذ بالمطلق موقفا من المسائل المعرفية التي تطرحها الفلسفة، فيما يخص كيفيات المعرفة وآلياتها الانسانية، كي يستطيع وينجح في فعله التربوي، كما ينبغي عليه تحديد أهدافه التربوية الخاصة.

ومن المؤكد أن المسائل التي تطرحها نظرية المعرفة في الفلسفة هي عينها التي تطرحها البيداغوجيا التربوية بصورة دقيقة، ومن هنا تبدو أهمية العلاقة الوجودية بين الفلسفة والتربية. فالمثاليون يعتقدون أن العقل والروح تشكلان المصدر الأساسي للمعرفة الانسانية، وبذلك

يميزون بين المعرفة الحقيقية وبين الخبرات التي تقدمها الحواس، ويقولون بإمكانية المعرفة الحدسية مع وجوب اختبارها بالعقل، ويختلفون في وظيفة الحواس ودورها في عملية المعرفة؛ فأفلاطون يرى أن المعرفة التي نكونها بالحواس ليست معرفة صحيحة، وأن صورة الأشياء تختلف عن الأشياء ذاتها، حيث يرى أن المعرفة تتصف بالثبات والكمال والواحدية، أما الأشياء التي نراها بالحواس فاسدة وناقصة ومتعددة ومتغيرة.

بينما أرسطو فيرى أن المعرفة الحسية أمر ضروري، ولكن العقل يقوم بتنظيم معطيات العقل وفق مقولات فُطر عليها ولم يكتسبها بالتجربة. والمعرفة عند باركلي مصدرها الله؛ أليس هو المعرفة الكلية؟ وبقدر ما يتجلى الله في نفوسنا بقدر ما نقترب من المعرفة، والمعرفة كما يراها هيغل تكمن داخل الواقع؛ فما هو واقعي عقلاني وماهو عقلاني واقعي، فالمصدر هو العقل الكلي، ويرى أن الوجود يسير وفق نظام متدرج من التفتح الداخلي عبر جدليته التاريخية الخاصة من العقل الكلي، يخرج ويعود إليه وعلى الفكر اكتشاف هذا النظام، وربط الاشياء والافكار المبعثرة في هذه الكلية والمتمثلة في روح الكون.

إن المهمة الأولى للمدرسة وفق نظرية المعرفة المثالية تكمن في ترويض عقل الطفل من أجل ادراك الجوهر العام للروح؛ ومنه فالمواد الدراسية لا تعلّم لمعرفتها، حيث لا قيمة لها لذاتها، ولا لستخدامها في الحياة، بل يكمن في غايتها من مساعدة العقل للوصول إلى ما هو كلي ومطلق.

وعلى خلاف المثاليين يرى الماديون ولا سيما الماركسيون أن الواقع شيء مستقر في ذاتنا، وأن المعرفة ما هي إلا انعكاس لهذا الواقع على ذاتنا، ولكن ليس انعكاسا آليا؛ حيث أن الصورة المكتوبة في الذهن ليست صورة فوتوغرفية مطابقة للشيء ذاته، إذ أن المدركات الحسية التي يكونها الانسان من خلال معالجته لها بالعمل تخضع إلى عمليات معقدة يجريها دماغ بشري نشيط وفعال، ويصورها في أفكار مختلفة عما هي عليه في الواقع. فالمعرفة مشروطة بالدماغ من جهة ومشروطة بمدى تقدم البشرية في المعرفة، ودرجة التراكم الذي أحرزته في هذا المضمار. فالسياق الاجتماعي يطور المعرفة.